الاعتقاد والمشاهدة

ذكرنا في الجزء الاخير من السنة الماضية في حاشية علّقناها على رسالة من دمشق "ان الذين يرون اعمال المنوّم والمنوَّم ويسمعون اقوالها تختلف رؤيتهم وسمعهم باختلاف استعدادهم فاذا سألتَ عشرة من الذين رأوا هذه الحادثة او غيرها من الحوادث السابقة (من حوادث التنويم المغنطيسي) وسمعوا ما قيل فيها اجابوك اجوبةً مختلفة تقرب من الغرابة بحسب قربهم من تصديق الغرائب وكلٌّ منهم يكون صادقًا في قوله اذا اريد بالصدق مطابقة القول للاعتقاد ولكن اذا اريد به معرفة حقيقة ما حدث فيجب ان يُعتمَد على اكثر الناس بحثًا واقلهم تصديقًا للغرائب" وقد اردنا الآن ان نبسط هذا الكلام المجمَل لئلاَّ يُظَن فينا التحامل فنقول

منذ بضع سنوات اخبرنا جمهور من الخلاّن ان في مدينة بيروت طبيبًا ايطاليًّا ينوّم فتاةً النوم المغنطيسي ويسألها عن امور كثيرة حاضرة وغائبة فتنبئ عنها كلها الأنباء الصحيحة كأنها تراها بعينها. وقصّوا علينا قصصًا في حد الغرابة مثل انها سُئلت عمّن سرق بيت فلان فانبأت عن صفات السارق وعن المكان الذي خبّأ المتعة المسروقة فيه فكان كما انبأت. وكانت تُسأل شيًّا في ضمائر بعض الناس فتجيب عنها بالدقة التامّة. ولما الحّ علينا هؤلاء الخلاّن لنذهب ونشاهد اعمالها اجبنا طلبهم وذهبنا وسألناها عن اشياء كثيرة فلم تصدق في شيء من كل ما اجابتنا به. مثال ذلك ان رجلاً سُرقت ساعته وكان يقيم في الطبقة الثالثة من بيت كبير فقلنا لها ان فلانًا سُرق له شيء فهل سرق من الطبقة الاولى او الثانية فقالت من الاولى فقلنا وهل المسروق دراهم او ثياب فقالت دراهم فقلنا ما في صفات السارق فاجابت بكلام مُبهَم يصحّ على كل احد. والذي سُرقت ساعته كان معنا فالبس هذه الاوصاف لشخص بعينه فلم يشك في صدقها واغضى النظر عن خطإها في مكان السرقة ونوع المسروق. ثمّ سألناها مسائل كثيرة كنّا نخيّرها فيها بين امرين وكلاهما غير صحيح فتختار واحدًا منهما الى ان اقتنع الحضور انها اقلّ ادراكًا من عامة الناس وهم في حال اليقظة

وما حدث لنا حدث لغيرنا ايضًا في احوال تشبه هذه من ذلك ما رواهُ الاستاذ تندل العالم الطبيعي الشهير قال دُعي الاستاذ فراداي لمشاهدة اعمال السبرتزم (اي تجلي الارواح) ولما كان قد رأى هذه الاعمال قبل ذلك حوّل ورقة الدعوة اليّ فمضيت وانا غير جازم بفساد السبرتزم بل حاسب انهُ اذا كان صحيحًا فلهُ سببٌ طبيعيٌّ غير معروف عند علماء الطبيعة وكنتُ

عازمًا ان ابحث عنهُ لعلي اكتشفهُ . فدخلتُ انبيت الذي دعيتُ اليهِ وكان فيهِ صاحبهُ وزوجتهُ ورجل شيخ ورجل آخر نسيبهِ ابرهيم . وقيل لنا ان الفتاة التي تتجلَّى لها الارواح لم تحضر بعدُ وانها اذا رأت من الحضور ريبًا لم تعُد الارواح تتجلى لها ولذلك طُلب منا ان نتفحَّص الموائد والكراسي قبل حضورها لئلاَّ تريبها الريب في انفسنا اذا تفحَّصناها امامها . وكان صاحب البيت قد اعدَّ لنا وليمة فاخرة على غير انتظاري . ثم حضرت الفتاة مع بقية المدعوين وكانت ضعيفة الجسم كانها مريضة فأُجلستُ بجانبها على المائدة ودار الحديث على غرائب السبرتزم وعلى ان الذين يشاهدونها يجب ان يؤمنوا بها الايمان التام . وكان ابرهيم المذكور آنفًا من المشهورين بتجلي الارواح فقال انهُ اذا اخذ القلم ليكتب وهو تحت سلطان الارواح شعر من نفسهِ ان قوة تحرِّك في ذراعهِ فتحرك انامله الى ان قال ان هذه القوَّة تمكِّنهُ من معرفة افكار غيرهِ . فقلت لهُ اذا شئتَ ان يكون لك نصيب بذيع اعمالك في الدنيا فاخبرني عمَّا في ضميري الآن فاحمرَّ خجلاً ولم ينبُه بكلمة

ثم سألتُ الفتاة عمَّا اذا كانت ترى نورًا منبعثًا من البلورات كما يدَّعي البارون ريخنباخ النمسوي فقالت نعم وارى النور حول كل الاجسام وحول كل الاشخاص والنور الذي يحيط بفلان يملأ هذه الغرفة . فقلت أتعلمين القوة التي ينسبها البارون ريخنباخ الى المغنطيس فقالت نعم ولكن وجود المغنطيس يزعجني الى حد المرض . فقلت لها اذن يمكنكِ ان تشعري بوجود المغنطيس في هذه الغرفة اذا كان موجودًا فيها ولو في حالك الظلام . فقالت نعم انني اشعر بوجودهِ فيها حالما ادخلها . فقلت لها وكيف تعلمين ذلك فقالت اذا كان المغنطيس موجودًا فيها شعرتُ كانني مريضة . فقلتُ وكيف تشعرين الآن فقالت انا الآن في تمام الصحة ولم تكن صحتي اجود مما هي الآن قط . فقلتُ ألا تشعرين ان معي مغنطيسًا . ولما قلت ذلك نظرتْ اليَّ متحيرة وصبغ الخجل وجنتيها وتلعثم لسانها ثم قالت كلاَّ لانهُ لا اتصال بيني وبينك

وكنت جالسًا عن يمينها ومعي مغنطيس في جيبي الشمال لا يبعد عنها اكثر من شبر

وحينئذٍ طلب منا صاحب البيت ان نغير الموضوع لانهُ ازعج الفتاة . ولكن بقي الحديث في غرائب السبرتزم فكنتُ كلما ذكروا غريبةً من غرائبهِ اذكر لهم غريبتين او اكثر من غرائب العلوم الطبيعية . قالت واحدةٌ من الحضور انها تطبق عينيها فترى في الجو الوانًا مختلفة فقلت لها وانا ارى هذه الالوان وارى ايضًا باطن عيني . فقالت الفتاة المذكورة آنفًا انها ترى امواج النور الآتية من الشمس فقلت ان رجال العلم يعرفون عدد الامواج التي تأتي من الشمس في وقت معلوم ويعرفون ايضًا طول كل موجة منها . فقالت ان الارواح التي تتجلَّى لها تعني على

آلات الطرب . فقلت ان بعض العلماء يقف على عشرين قدمًا من نور الفاز و يأمرهُ ان يغني فيغني بصوت يسمعهُ الحضور ولو كانوا الف نفس

وفيما نحن نتجاذب اطراف الحديث كما نسمع نقرًا على المائدة فقيل لي ان هذا هو نقر الارواح وانهُ اذا سُئلت الارواح سؤالاً فان اجابت بنقرة واحدة فالجواب "لا" وان اجابت بنقرتين فالجواب "لا الآن" وان اجابت بثلاث نقرات فالجواب "نعم" . فسألتُ هذه الارواح عما اذا كنتُ وسيطًا (اي ممَّن تتجلَّى الارواح لهم) فكان الجواب بالايجاب . وحينئذٍ رأيت ان الصوت صادر من احدى جهات المائدة فرجوت الارواح ان تجيب من جهة اخرى فلم تجب طلبي وأكَّد لي بعض الحضور ان الارواح تعاند في اوَّل الامر ثم تذعن . فكبت قدحًا على المائدة ووضعت اذني عليهِ كمن يستنصي الصوت فاضطربت الارواح وابطلت النقرة . ولما اخذ مني الملال استندت ظهري الى كرسي وحوَّلت نظري الى الكوَّة واذا بالمائدة قد تحرَّكت وجعلت الخمر تترجرج في الكؤوس فسألني الحضور عمَّا اذا كان ذلك غير كافٍ لاقناعي . وكان الجلوس حول المائدة كثيرين وارجلهم تحتها وسواعدهم عليها فرأيت انني لا استطيع ان ابحث عن الحركة لها ما لم اتعدَّ شروط اللياقة فلم اجب بشيء

ثم دار الحديث على قوَّة الارواح وقالوا انها تفوق قوَّة البشر حتى اذا ارادت تحريك المائدة فلا تمنعها قوَّة بشرية عن تحريكها . وجرَّب الحضور ذلك فحرَّكوا المائدة مرتين وانا متغافل عنها وفي المرة الثالثة اطبقتُ ساقيَّ على قائمة من قوائم المائدة وقلتُ لعضلاتي هذه ساعتك فحاولت الارواح تحريك المائدة بكل جهدها ولم تستطع (والذي يحرِّك المائدة هو ايدي الجلوس حولها وقد يحركونها وهم لا يدرون كما ثبت بالامتحان)

وبعد ذلك وضعت رجلاً على اخرى وارجعتُ رجلي التي على الارض فرجعت الارض والكراسي . وجعل بعض الحضور ينبهني الى هذه الحركة ويقول انها حركة الارواح . ثم ابطلت ارجاف رجلي فبطلت الحركة واعدتُ ارجافها فعادت ولكني رأيت ان البعض كانوا مرتابين في اصل هذه الحركة ولعلي ان كشف سرَّها يغيظ كثيرين منهم لم اكاشفهم به

وبعد مدَّة جعلت الارواح تتكلم بالنقر على المائدة فطلبتُ من الحضور ان يسمحوا لي بالجلوس تحتها فتردَّد بعضهم في اجابة طلبي ولكن الرجل الشيخ قال لا بأس في ذلك لان التحرِّي واجب لاجل صحة الاقناع فاحنيت رأسي ودخلتُ تحت المائدة وبقيت تحتها ربع ساعة والارواح صامتة لا تصوت ولا تنقر فقمت وجلست على كرسيَّ فعادت الارواح الى النقر

هذا و يظهر من كلام الاستاذ تندل ان الحضور كلهم كانوا مصدقين بتجلي الارواح وان

هذه الافعال افعالها مع ان بطلان ذلك اوضح من ان يبيّن وما هذا الّا لان اعتقادهم حكم على مشاهداتهم والانسان عبدٌ لاعتقاده

اما كون الاعتقاد يري الانسان اشياء غير منظورة ويُسمعهُ اصواتاً غير مسموعة ويجعلهُ يشعر بامور غير موجودة فامثلتهُ كثيرة نجتزي منها ببعض ما ذكرهُ النفات . من ذلك ما ذكرهُ الاستاذ بنّت وهو ان امرأةً اتُّهمت بانها سمّت ولدها فمات ودُفن فلما استُخرج تابوتهُ من القبر لكي يُبحث في جثتهِ عن السم كان حاكم البلد حاضراً مع جمهور من الاطباء فقال ان الميت قد انتن وانهُ يكاد يفنى عليهِ من رائحتهِ فخرج من الغرفة . وفتح التابوت فلم يوجد فيهِ شيء . ثم ثبت ان هذا التابوت دفن في القبر فارغاً . فاعتقاد هذا الرجل ان في التابوت جثة وانهُ مضى عليها وقت كاف لتنتن فيهِ جعلهُ يشم رائحة النتانة ولا رائحة ولا جثة . وذكر ايضاً ان قصاباً كان يحاول تعليق اللحم في كلّاب عالٍ فوق رأسهِ فزلقت رجلهُ وعلقت يدهُ في الكلّاب بدل اللحم فصرخ من الألم واصفرّ وجههُ وكاد نبضهُ ينقطع والحال دعي الجرّاح فوجد ان الكلّاب عالق بكمّ ثوبهِ فقط ولم يصل الى اللحم . وعليهِ فألم هذا الرجل واصفرار وجههِ وسكون نبضهِ كل ذلك حدث من وهمهِ ان يدهُ علقت بالكلّاب

وكثيراً ما شاهدنا بعض الحوادث نحن وغيرنا من المعارف ثم سمعناهم يصفون ما شاهدناهُ نحن وهم معاً فاذا هم يصفون اموراً لم نشاهدها نحن ويصفونها على اسلوب يجعلها في حدّ الغرابة . وكلما تمادوا في الوصف وكرّروهُ زادوهُ غرابة . كل ذلك وهم يعتقدون انهم لا ينطقون الّا بالحق وما ذلك الّا لان اعتقادهم اراهم ما لا وجود لهُ او لان ذاكرتهم خدعتهم وصوّرلهم الخيال اشياء لم يروها

وخداع الذاكرة امرٌ معروف مشهور . ذكر الدكتور كربنتر ان امرأةً من فضليات النساء اخبرتهُ انها سمعت نفراً على مائدةٍ ولم يكن احد بجانب المائدة وأكّدت لهُ ذلك كل التأكيد ولما اظهر لها الريب قالت لهُ انها كتبت ذلك عندها حال حدوثهِ ثم قامت وفتشت بين اوراقها فوجدت الورقة التي كتبت عليها ذلك وإذا فيها انها سمعت النقر من المائدة وكان على المائدة ست ايدٍ مستندة عليها . فلو لم تكتب هذه الحادثة في القرطاس لبقيت تقول الى يوم العرض انها سمعت النقر على المائدة ولم يكن احد بجانبها

ومن قبيل ذلك ما يروى عن خادمة كانت عند مس مرتينو المؤلفة الانكليزية الشهيرة . وهو ان هذه الخادمة كانت نائمة النوم المغنطيسي فكلّمها لورد موربث احد اشراف الانكليز باللغة الغريبة لا تعلمها فاجابتهُ بتلك اللغة وشاع الخبر وبلغ الاستاذ كربنتر فالتقى مرّةً بلورد موربث وسألهُ عن

جلية الامر فقال ان كل ما حدث هو انني سألتها سؤالاً بلغة غريبة فحاولت ان تكرّر السؤال بلفظهِ ليس الاّ

وربّ قائلٍ يقول ان الحوادث التي تنسب الى التنوم المغنطيسي كثيرة فكيف نعرف الصحيح منها من غير الصحيح

والجواب انه يمكننا قسمة هذه الحوادث الى ثلاثة انواع نوع يؤيّدهُ الاختبار او يمكن ردهُ الى اسبابهِ العلمية وهذا نسلم بهِ حالاً . ونوع لا يؤيّدهُ الاختبار او لا يمكننا ردهُ الى اسباب علميّة معروفة ولكنهُ لا يناقض معارفنا ولا الحقائق العلميّة وهذا نرتاب في صحتهِ الى ان تقوم عليها ادلّة كثيرة وحينئذٍ نسلم بهِ ونبحث عن سببهِ . ونوع يناقض الاختبار والحقائق العلمية المعروفة وبما ان الحق لا يمكن ان يناقض الحق فهذا النوع نرفضهُ مهما قيل في صحتهِ

فمن النوع الاول جميع حوادث التنويم من بداءة اصغاء المنوّم الى ان يصيبهُ السبات التام وخضوع ارادتهِ للمنوّم وزيادة شعورهِ بالامور الخارجية وتوقّف قوة الاختبار فيهِ وانقيادهُ للاحوال التي تنبّه في ذهنهِ ساعتئذٍ اما بمؤثرات خارجية او داخلية وبالاختصار كل الحوادث التي نسبناها الى المسمرزم او الهبنوتزم في ما كتبناهُ في هذا الموضوع وقلنا ان حدوثها مثبت

ومن النوع الثاني إخبار المنوّم بامور وحوادث لا معرفة لهُ بها حتى كأن فيهِ قوة روحية غير معروفة . واكثر الحوادث التي من هذا النوع لا تحتمل نار الامتحان فاذا امتحنها رجال العلم وجدوها باطلة او وجدوا ان الذين قرّروا عنها كانوا مخدوعين حال رؤيتهم لها او سمعهم اياها قرأوا او سمعوا ما توهموهُ او ما انتظروهُ لا ما لهُ وجود في الخارج . او اخترعتهُ لهم المخيلة بعد حدوثهِ فقرّرتهُ الذاكرة كأنهُ حدث حقيقةً وهو لم يحدث والذي حدث انما هو شيء طفيف جدًّا كما في امر الخادمة التي قيل انها اجابت بلغة لا تفهمها مع انها لم تجب بتلك اللغة بل انما حاولت تقليد العبارة التي سمعتها . وكثيرًا ما تنتبه في المنوّم قوّة الشعور فيدرك اقل المدركات حتى انهُ يعرف الجواب من شكل الفاء السؤال عليهِ . ومع ذلك كلهِ فالعلم لا ينفي امكان وجود قوة اخرى غير القوى المعروفة ولكنهُ لا يثبت بل لا يضطرّ ان يفرض وجودها ما لم يرَ حوادث كثيرة لا يمكن تعليلها الاّ بفرض وجود هذه القوة

وفي هذه الحوادث لا يكفي الاعتماد على شهادة الناس الاّ اذا كانوا من المحقّقين الكثيري الاختبار والتحرّي بل لا يكفي ان يعتمد الانسان على شهادة حواسهِ نفسها . ولكي يظهر هذا القول غريبًا نبيّنهُ بمثَلٍ : لنفرض انك جلست امام مشعوذ ورأيتهُ يضع برنيطتهُ على المائدة ويُخرج منها حمامًا وفراخًا وازهارًا وفاكهةً ما لا يسعهُ الاّ قفّة كبيرة ورأيت بعينك هذه الطيور وسمعت

اصواتها باذنك ومسكتَ الازهار بيدك وشممتها وذقت طعم الناكهة فانك مع شهادة حواسك الخمس لا تصدّق ان كل هذه الاشياء كانت في البرنيطة وما ذلك الاّ لانك تعلم باختبارك السابق وباختبار كل بني البشر ان وعاء صغيرًا مثل البرنيطة لا يسع هذا المقدار الكبير من الحمام والفراخ والازهار والاثمار . وقس على ذلك جميع اعمال المشعوذين فانك لا تصدّق فيها شهادة حواسك ولا تنسب واحدةً منها الى قوّة غير معروفة مع مخالفتها كلها لمألوف العادة والاختبار بل تقول انها نتيجة الخفّة واللباقة

نذكر اننا جرّبنا مرةً عملية الراس الذي يتكلم من فوق المائدة كأنهُ مقطوع وموضوع في صحنة عليها وكان امامنا جمهور من العلماء وجمهور من النساء فبعض النساء تعوّذنَ من شرّ ما رأينَ وكدنَ يخرجنَ من القاعة مخافةً من اعمال الشيطان والعلماء لم يدركوا حقيقة الحيلة فجلسوا مبهوتين لا يدرون ما يقولون ولكنهم كانوا مقتنعين ان في الامر حيلةً وانهُ متى كشفناها لم تزول الغرابة كلها وكان كما قالوا

وبناء على ذلك نقول انهُ اذا جاءنا رجل وقال انني سألت فلانًا وهو نائم النوم المغنطيسي عن اخي الذي في البلد الفلاني فذكر لي من امره امورًا تنطبق على الحقيقة تمامًا فما قولكم في ذلك . فالجواب اما ان يكون المنوّم عالم بالاحوال التي ذكرها او انهُ ادركها من صورة السؤال او انهُ اجاب بامور أخرى ولكن السائل كان يعرف هذه الامور فلم يسمع ما قالهُ المنوّم بل ما قام في ضميره . او ان المنوّم قال اشياء أخرى ثم لما علم السائل عن احوال اخيهِ نسي ما قالهُ المنوّم وحسب انهُ قال ما علمهُ هو بعد ذلك عن احوال اخيهِ . ولكلٍّ من ذلك امثلة عديدة . واذا لم يكن السبب كما تقدّم ففي المنوّم قوّة يدرك بها الغيب وهذا مخالف للاختبار ولكنهُ غير مناقض لهُ ولذلك لا يسلّم بهِ الاّ بعد حدوث حوادث كثيرة لا يمكن تعليلها الاّ بهذه القوّة

اما الحوادث التي من النوع الثالث وهي المناقضة للنواميس الطبيعيّة المقرّرة فحدوثها لا وجود لهُ الاّ في مخيّلة الذين رأوها . هذا اذا ثبت ان النواميس الطبيعية مقرّرة لا يمكن نقضها والاّ فتكون هذه الحوادث من النوع الثاني المذكور اخيرًا وتعلّل بوجود قوّة غير معروفة

الطبيبات في نيويورك

يوجد في نيويورك من اميركا ٤٥٠ امرأةً يمارسنَ الطب وهنّ كثيرات ايضًا في سائر مدن اميركا